**الرحلات العلمية إلى بغداد في القرن السابع الهجري ـ رحلة شرف الدين الدمياطي أنموذجا ـ**

أ.د. صالح مهدي عباس

أ.م.د.إيمان صالح مهدي

**الملخص**

احتفظ العالم العربي الإسلامي بنظام ثقافي متكامل على الرغم من الخلافات السياسية بين حكامه ,والانقسامات الخطيرة بين أجزائه , وعزز هذا النظام التواصل الفكري بين أقطار العالم العربي الإسلامي ,فلم تعد تلك الخلافات الانقسامات ولا الحدود المصطنعة عائقا تحول دون انتقال المسلم في البلاد العربية الإسلامية ,وظلت عناصر هذا النظام الثقافي المتمثلة في شخصية العالم وطالب العلم ,والكتاب ,تنتقل بحرية تامة في بلدان العالم العربي الإسلامي .

ولمدة زادت على خمسمائة سنة , كانت بغداد مقصد العلماء وملتقى الكتاب والأدباء و ترفد المراكز العلمية في البلاد الإسلامية كافة , بالعلماء والفقهاء والمفسرين وأصحاب العلوم حتى أصبحت الرحلة إلى بغداد تقليدا علميا شائعا بين طلبة العلم فتوافد الناس عليها بتشجيع من الخلفاء الذين أجزلوا العطاء للوافدين , ولطلبة العلم عامة ,فازدادت حلقات الدرس والسماع ,وانتشرت في المساجد وحوانيت الوراقين , وتوسعت مجالس المناظرة ,وكثرة المصنفات في كل علم , ونشطت حركة التأليف بين العلماء البغداديين في مختلف العلوم وفنون المعرفة

, ومن العلماء وطلاب العلم من رحل إلى بغداد أكثر من مرة , وهم من بلدان مختلفة من العالم العربي والإسلامي

ومن هؤلاء الوافدين على بغداد شرف الدين الدمياطي الذي دخل بغداد سنة 644هـ وكانت هذه الرحلة الأولى , ثم أعقبها برحلة ثانية سنة 650هـ , وفي كلا الرحلتين يسمع من علماء بغداد ويأخذ عنهم ,ويجالسهم ,ويلازم بعضا منهم , إلا أنه في الرحلة الثانية اتسعت مداركه ونشطت همته ,ووطن نفسه على الأشغال بالتدريس للطلبة الجدد الوافدين على بغداد ,

نشأ شرف الدين الدمياطي بدمياط ,وتفقه على علمائها ولا سيما الأخوين الإمامين أبي المكارم عبد الله ,وأبي عبد الله الحسين ابني الحسن بن منصور بن أبي عبد الله السعدي ,وكان قد حفظ " التنبيه في الفقه" لأبي إسحاق الشيرازي , و"المنخول في أصول الفقه" لأبي حامد الغزالي حتى تميز في المذهب الشافعي ,ثم قرأ القرآن وأجاده تلاوة وحفظا ,ثم طلب الحديث بعد ذلك وله من العمر ثلاث وعشرون سنة,أي أنه صار من طلبة الحديث وقد تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره

سجل الشيخ الدمياطي مجموعة من التعليقات النافعة , و المعلومات الضرورية التي لايستغني عنها الباحث في الحياة الفكرية ببغداد

منها: أماكن السماع التي أخذ فيها الرواية والمعارف عن شيوخه البغداديين ,وهذا يدل على كثرة مراكز التعليم في بغداد وتنوعها

واشار في كثير من تراجم الشيوخ البغداديين إلى تواريخ وفياتهم باسم و مكان الدفن,وأحيانا يذكر الصلاة عليه في مسجد أو مدرسة , وهذا التوثيق من الحافظ الدمياطي صار معتمدا عند كثير من المؤرخين الذين جاؤا بعده ,

وروى أشعارا ومقطعات شعرية لعدد من الشيوخ البغداديين الذين عرفوا بنظمهم للشعر واسترسالهم فيه , وأحيانا لا نجد هذه الأبيات في تراجم الشيوخ البغداديين إلا أن تكون منقولة عن رواية شرف الدين الدمياطي لهذا الشعر ,وبهذا حفظ لنا هذه الأشعار لأصحابها الذين لم تذكر مصادر تراجمهم شعرا لهم ولم يعرف عنهم تعاطيهم للشعر

أولى شرف الدين الدمياطي المكانة العلمية لشيوخ بغداد عناية تامة , وأثبت نصوصا صريحة تدل على علمية هؤلاء الشيوخ ومكانتهم الرفيعة بين التلاميذ والمعاصرين لهم من شيوخهم وأقرانهم , مما يدل على إحاطته بأحوالهم إحاطة تامة , ومتابعو شؤونهم متابعة دائمة ,وذكر الوظائف الجليلة التي مارسها هؤلاء الشيوخ فضلا عن الصفات الحميدة والخصال الجميلة التي كانوا عليها

وستتناول الورقة الحالية المحاور التالية:

النــشاط العلـــمي بــبــغداد ورحلة الديمياطي اليها و شيوخ الدمياطي البغداديين ومروياته عنهم. ورواية الدمياطي للأحــاديــــث , ورواية الكتب المعتمدة في الحديث الشريف و الفــــــــــوائد المـــنتقاة مـن الشــيوخ البـــغداديين.